

فجرُ الهدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

يونس



دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للفغار واليا فاعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يَوسُفُ عليه السلام
- ٨- شُعَيْب عليه السلام
- ٩- أَيُّوب عليه السلام
- ١٠- يُونُسُ عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سُليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُتِرت وزيدت إشرافاً بذكر أخبار رُسل الرحمة والإنسانية ، رُسلُ الغيبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، بدءاً من آدم عليه السلام وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسل وأنبياء .
قال الله تعالى: (وَكَأَنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْنَا بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

فَجَدُّ الْهَدْيِ وَالْإِيمَانِ

يُوسُفُ بْنُ

عَلِيهِ السَّلَامُ
الَّذِي ابْتَلَعَهُ الْجُحُوتُ

من قصص
الأنبياء
عليهم السلام



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963 +

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِيك ﴾^(١).

فَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الَّذِي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾. نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا، ﷺ مُخْبِرًا إِتَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ الْوَارِدَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى تُنَبِّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَمَاذَا حَلَّ بِهِمْ بَعْدَ أَنْ طَغَوْا وَبَغَوْا، وَتَكَبَّرُوا وَأَعْرَضُوا عَنْ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَاسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِكَ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

(١) سورة: يوسف (٣).

(٢) سورة: هود الآية (١٢٠).

فَقَدْ حَوَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْبَاءَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَأَخْبَارَ مَا بَعْدَهَا،
وَرَوَاهَا بِصِدْقٍ، فَهُوَ مُعْجَزٌ فِي صِدْقِهِ وَإِخْبَارِهِ، لِأَنَّهُ كِتَابُ صِدْقٍ
وَحَقٍّ. فَقَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، عَنْ أَنْبَاءِ أُتْبَتَهَا
الْعُلَمَاءُ فِيمَا بَعْدَ قِتْلِكَ الْأَحَادِيثُ وَالْأَخْبَارُ، لَمْ يُوْتِ بِهَا عَبَثًا، وَلَمْ
تَكُنْ كَذِبًا، بَلْ هِيَ أَخْبَارٌ صَادِقَةٌ صَحِيحَةٌ، لِأَنَّهَا تَصْدُرُ عَنْ رَبِّ هَذَا
الْكُونِ وَخَالِقِهِ، وَعَنْ إِلَهٍ عَظِيمٍ لَاحْدُودٍ لِقُدْرَتِهِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ
لشَيْءٍ كُنْ فَيَكُونُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى^(٢)
وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

نَعَمْ ، أَيُّ الْقَصَصِ أَكْثَرُ عِبْرَةً وَعِظَةً، وَفَائِدَةً تُرْجَى، وَعِلْمًا يُنْتَفَعُ
بِهِ، مِنْ قَصَصِ الْقُرْآنِ؟ وَمِنْ هَذِهِ الْقَصَصِ الَّتِي حَدَّثَنَا بِهَا اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ، فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، قِصَّةُ النَّبِيِّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغَيْرِهِ مِنَ
الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَعْضِ السُّورِ وَالَّذِينَ قَصَصْنَا
لِبَعْضِهِمْ وَسَنَقُصُّ لِبَعْضِهِمُ الْآخِرِ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ
الصَّافَّاتِ:

(١) الْأَلْبَابُ: العقول.

(٢) يُفْتَرَى: يُكْذَبُ.

(٣) سورة: يوسف (١١١).

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٢٧) إِذْ أَبَقَ (١) إِلَى الْفَلَكِ (٢) الْمَسْحُورِ ﴿١٢٨﴾ فَسَاهَمَ (٣) فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (٤) ﴿١٢٩﴾ فَالْتَقَمَهُ (٥) الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٣٠﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٣١﴾ لَلِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٣٢﴾ فَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٣٣﴾ وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٣٤﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُوكَ ﴿١٣٥﴾.

النبي يونس

أرسل الله عز وجل، النبيَّ يونسَ إلى أهل نينوى (١١)، الذين كانوا يعبدون الأصنامَ والتَّمائيلَ، التي لا تنفع ولا تضر، والتي كانوا يصنعونها بأيديهم، ثمَّ يسجدون لها ويعظمونها، يالهَم من

(١) أَبَقَ: هرب.

(٢) الفلك: السفينة.

(٣) ساهم: أي ضرب القرعة.

(٤) المدحضين: المغلوبين بالقرعة.

(٥) فالْتَقَمَهُ: ابتلعه.

(٦) مُلِيمٌ: أي أتى بما يلام عليه.

(٧) نبذناه: ألقيناه من بطن الحوت.

(٨) سقيم: عليل مريض.

(٩) يقطين: القرع.

(١٠) سورة: الصافات (١٣٩ - ١٤٧).

(١١) نينوى: مدينة في العراق.

حَمَقَى يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا حَجَرِيَّةً، لَا تَنْطِقُ، بَلْ لَيْسَتْ قَادِرَةً عَلَى دَفْعِ
الضَّرِّ عَنْ نَفْسِهَا، فَكَيْفَ تَدْفَعُ الضَّرَّ عَنْ غَيْرِهَا؟ وَهُمْ كَغَيْرِهِمْ مِنَ
الْكُفَّارِ وَالْمَشْرِكِينَ، يَعْبُدُونَهَا لِأَنَّهُمْ رَأَوْا آبَاءَهُمْ وَأَجْدَادَهُمْ
يُقَدِّسُونَهَا وَيَعْبُدُونَهَا وَحَاوَلَ النَّبِيُّ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَهْدِيَ
قَوْمَهُ الَّذِينَ عَمِيَتْ عُيُونُهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ، وَأُغْلِقَتْ قُلُوبُهُمْ،
وَأُوصِدَتْ أَمَامَ كُلِّ خَيْرٍ، وَكُلِّ نُورٍ، فَأَظْلَمَتْ عُقُولُهُمْ وَتَاهَتْ
أَفْكَارُهُمْ، فَجَعَلُوا يَتَخَبَّطُونَ بِمَهَاوِي الشَّرِّ وَالضَّلَالَةِ وَالْعَمَى،
وَالْعِبَادَةِ بِاللَّهِ، وَدَعَاهُمْ النَّبِيُّ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ وَحْدَهُ جَدِيرٌ بِالْعِبَادَةِ،
وَوَحْدَهُ جَدِيرٌ بِالتَّقْدِيرِ، قَائِلًا لَهُمْ:

- يَا قَوْمِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ هِدَايَةً وَرَحْمَةً، لَأَخَذَ
بِيَدِكُمْ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ. حَيْثُ تَتَعَمَّوْنَ بِنِعَمٍ لَمْ تَرَوْهَا وَلَمْ تَسْمَعُوا بِهَا.
فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ الضَّالُّونَ:

- أَلِهَذَا تَدْعُونَا يَا يُؤْنَسُ؟ تَأْمُرُنَا أَنْ نَدَعَ مَا عَبَدَهُ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا
وَنَعْبُدَ إِلَهًا لَا نَعْرِفُهُ بَلْ كَيْفَ تَتَجَرَّأُ عَلَى ذَلِكَ؟ وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنَّا وَمِنْ
عَامَّتِنَا. فَقَالَ لَهُمْ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- يَا قَوْمِ اسْمَعُونِي وَأَطِيعُونِي، يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُخَلِّصْكُمْ مِنْ عَذَابِ
شَدِيدٍ، ابْتَغِدُوا يَاقَوْمِ عَنْ هَوَايَةِ التَّقْلِيدِ، وَأَزِيحُوا عَنْ عُقُولِكُمْ سِتَائِرَ
الْأَوْهَامِ وَالضَّلَالَةِ، وَعُودُوا إِلَى رُشْدِكُمْ، وَفَكِّرُوا وَتَدَبَّرُوا، وَانظُرُوا

إِلَى مَا تَعْبُدُونَ، أَهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَحْمِيَكُمْ مِنَ الشَّرِّ؟ أَهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئًا؟ أَهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تُحْيِيَ وَتُمِيتَ، أَوْ تَشْفِيَ مَرِيضًا أَوْ تَرُدَّ ضَالًّا.

ثُمَّ لِمَذَا تُغْلِقُونَ عُقُولَكُمْ، عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ؟ وَهُوَ الَّذِي يُرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ، وَيَدُلُّكُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُكُمْ، وَيُبْعِثُ إِلَيْكُمْ الظُّلَمَ وَالطُّغْيَانَ، وَيَنْشُرُ فِيمَا بَيْنَكُمْ الْعَدْلَ وَالْأَظْمِنَتَانَ، وَيَدْفَعُكُمْ إِلَى التَّرَاحُمِ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَإِلَى الْعَطْفِ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالتَّصَدَّقِ عَلَى الْفَقِيرِ، فَمَاذَا كَانَ جَوَابُهُمْ؟:

لَمْ يَظْفَرْ النَّبِيُّ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ إِلَّا بِجَوَابِ الْجَاهِلِينَ الْمُتَعَصِّبِينَ، الَّذِينَ صَدَّتْ عُقُولُهُمْ، قَالُوا لَهُ:

- مَا أَنْتَ يَا يُؤْنَسُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَنَا، وَلَسْنَا بِمُؤْمِنِينَ لَكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- يَا قَوْمُ هَا أَتَدَّأ، قَدْ دَعَوْتُكُمْ بِاللَّيْنِ وَالصَّبْرِ، وَجَادَلْتُكُمْ بِالْبَيِّنِ هِيَ أَحْسَنُ، وَحَاوَلْتُ هَذَايَتَكُمْ، وَأَنْتِشَالُكُمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى، إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ وَالْأَظْمِنَتَانِ، فَأَوْصَدْتُمْ عُقُولَكُمْ، فَلَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَسْتَجِيبُوا لِنِدَاءِ رَبِّي، وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَصِلَ دَعْوَتِي إِلَى قَرَارَةِ نَفُوسِكُمْ، وَلَكِنْ هِيَهَاتَ^(١) وَلِذَا فَإِنِّي أَنْذَرُكُمْ عَذَابًا

(١) هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بُعد.

وَاقِعًا، وَبَلَاءَ نَازِلًا، وَهَلَاكًا قَرِيبًا، فَانْتَظِرُوا عَذَابَ اللَّهِ، إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ قَرِيبٌ.

فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ:

- يَا يُونُسُ. مَا تَحَاوِلُ إِلَّا عَبَثًا، فَنَحْنُ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ، وَلَنْ نَخَافَ مِنْ وَعِيدِكَ وَتَهْدِيدِكَ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأْتِنَا بِالْبُرْهَانِ وَالدَّلِيلِ، عَلَى مَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ.

هَجْرَةُ يُونُسَ

وَصَاقَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَرْعًا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ عَلَيْهِمْ صَبْرًا، وَقَطَعَ كُلَّ أَمَلٍ لَهُ فِيهِمْ، وَتَوَسَّسَ مِنْ كُلِّ رَجَاءٍ، أَلَمْ يَدْعُهُمْ فَلَمْ يُؤْمِنُوا؟ أَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ طَرِيقَ الْخَيْرِ مِنْ طَرِيقِ الشَّرِّ فَلَمْ يَزِدْهُمْ غَضَبًا، عِنْدِيذٍ، صَمَّمَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الرَّحِيلِ، فَغَادَرَهُمْ غَاضِبًا مِنْ كُفْرِهِمْ، يَائِسًا مِنْ إِيْمَانِهِمْ، وَظَنَّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ دَوْرَهُ قَدْ انْتَهَى، وَحَسِبَ أَنَّ مَا قَامَ بِهِ كَانَ كَافِيًا، وَلَكِنْ لَعَلَّهُ إِنْ كَانَ قَدْ أَطَالَ الْبَقَاءَ عِنْدَهُمْ، وَالْمُكُوثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ مَدَّةً أَطْوَلَ، وَاسْتَمَرَّ فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ، لَرَبَّمَا وَجَدَ فِيهِمْ مَنْ يَخْفُقُ لِلْإِيْمَانِ، وَلَكِنَّهُ رَحَلَ دُونَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ بِالْهَجْرَةِ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، وَلِيَلْقَى النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ قَضَاءً، وَيَتَلَقَّى جَزَاءً.

العذابُ فالتوبةُ

وَيَمْضِي يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَكْذِبْ بَيْنَعْدُ، إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى لَاحَتْ فِي الْأَفْقِ، وَظَهَرَتْ عَلَانِيَتُ الْهَلَاكِ، فَاسْوَدَّتِ السَّمَاءُ، وَتَلَبَّدَتْ بِالْغُيُومِ الدُّخَانِ^(١)، وَاغْبَرَّ الْجَوْ فَاصْفَرَّتْ وَجْوهُ الْقَوْمِ وَعَلَاهَا الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ، وَاضْطَرَبَتْ نَفُوسُهُمْ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ فَأَيَقِنُوا عِنْدِيذٍ، أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنَّ يُؤْنَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَنَّ الْعَذَابَ لَاحِقٌ بِهِمْ لَامَحَالَةَ كَمَا لَحِقَ بِأَقْوَامٍ قَبْلَهُمْ سَمِعُوا بِهِمْ، كَقَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَابُوا^(٢) إِلَى رُسُلِهِمْ، وَخَرَجُوا صِغَارًا وَكِبَارًا، نِسَاءً وَرِجَالًا، إِلَى أَعَالِي الْجِبَالِ، وَبُطُونِ الصَّحَرَاءِ، مُتَوَسِّلِينَ مُتَضَرِّعِينَ، يَسْأَلُونَ إِلَهَ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْمَغْفِرَةَ وَالْعَفْوَ، فَتَابُوا إِلَى اللَّهِ وَآمَنُوا بَعْدَ أَنْ فَرَّقُوا بَيْنَ الْأَمَّهَاتِ وَأَطْقَالِهِنَّ، وَالْبَقَرِ وَأَوْلَادِهِنَّ، وَالْغَنَمِ وَحِمْلَانِهِنَّ، وَأَخَذَ الْجَمِيعُ يَصْرُخُونَ، فَصَاحَتِ الْأَمَّهَاتُ خَوْفًا وَجَزَعًا عَلَى أَطْفَالِهِنَّ، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَتَغَتِ^(٣) الْغَنَمُ، فَكَانَتْ سَاعَةً زَالَ بَعْدَهَا كُلُّ شَيْءٍ، إِذْ قَدَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانُوا مِنْهُمْ

(١) الغيوم الدكن: الغيوم السوداء المحملة بالأمطار.

(٢) تابوا: عادوا.

(٣) التَّغَاءُ: صوت الغنم.

مِنْ عَظِيمِ الذُّنُوبِ، فَبَسَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ رَحْمَتِهِ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ نِقْمَتَهُ، وَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ، إِذْ كَانُوا فِي ثَوْبَتِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَفِي إِيمَانِهِمْ صَادِقِينَ، فَردَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَمَنَعَ عَنْهُمْ الْعِقَابَ، فَعَادُوا إِلَى دِيَارِهِمْ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ مُؤْمِنِينَ، وَكَمْ وَدُّوا لَوْ عَادَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ يُؤْتِسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَيَعِيشَ مَعَهُمْ نَبِيًّا عَزِيزًا وَمُكْرَمًا وَكَمْ وَدُّوا لَوْ عَادَ إِلَيْهِمْ لِيَعْوِضُوهُ، عَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ، مِنْ إِنْكَارٍ وَأَدَى لِحَقِّ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً آمَنَتْ فَفَنَعَهَا إِيْمَانَهَا ﴾^(١).

وَلَمْ يَخْذُثْ أَنْ آمَنَتْ قَرِيَّةٌ، بِنَبِيِّ مُرْسَلٍ، إِلَّا قَالَ أَغْنِيَاؤُهَا وَمُتَرَفُّوْهَا: إِنَّا نَحْنُ بِمَا جِئْتُ كَافِرُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوْهَا^(٢) إِنَّا إِنَّمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾^(٣).

وَلَكِنَّ قَوْمَ يُؤْتِسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، آمَنُوا بِكَامِلِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

(١) سورة: يونس (٩٨).

(٢) مترفوها: أغنياؤها.

(٣) سورة: سبأ (٣٤).

﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَدَابَ الْآخِرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَعَّمْنَا بِهِمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١).

وَكَانَ عَدَدُ سُكَّانِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، أَيْ قَرْيَةِ نَيْنَوَى، الَّتِي بُعِثَ إِلَى أَهْلِهَا النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِثَّةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ قَلِيلًا، وَهَذَا مَا يُؤَيِّدُهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٢).

يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ

أَخَذَ النَّبِيُّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَسِيرُ وَيَسِيرُ، بَعْدَ أَنْ فَارَقَ قَوْمَهُ، وَتَرَكَ دِيَارَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ، حَيْثُ وَجَدَ مَجْمُوعَةً مِنَ النَّاسِ، تَهُمُّ بِرُكُوبِ السَّفِينَةِ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَصْطَحِبُوهُ مَعَهُمْ، وَيَحْمِلُوهُ حَيْثُ يَتَجَهَّوْنَ. فَرَحَّبُوا بِهِ وَقَالُوا لَهُ:

- أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ، فَوَاللَّهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا كَرِيمَ النَّسَبِ، عَظِيمَ الشَّانِ، وَأَنْزَلُوهُ بَيْنَهُمْ وَأَكْرَمُوهُ إِكْرَامًا عَظِيمًا.

وَمَا إِنْ ابْتَعَدَتِ السَّفِينَةُ، قَلِيلًا عَنِ الشَّاطِئِ، وَتَجَاوَزُوا الْبَرَّ،

(١) سورة: يونس (٩٨).

(٢) سورة: الصافات (١٤٧ - ١٤٨).

حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، رِيَّاحًا هَوَّجَاءَ^(١)، وَكَانَتْهَا الْأَعَاصِيرُ،
فَهَاجَتِ الْأَمْوَاجُ، وَمَاجَتْ وَأَخَذَتْ تَتَعَالَى، وَمَعَهَا السَّفِينَةُ، تَغْلُو
وَتَهْطُ، كَقَشَّةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ، وَأَدْرَكَ رُكَّابُهَا أَنَّهُمْ لَا مَحَالَةَ
سَيَغْرَقُونَ.

وَنَهَضَ أَحَدُ رُكَّابِهَا، وَقَدْ تَفَقَّثَتْ فِي ذَهْنِهِ فِكْرَةُ مَا، قَائِلًا:

يَا قَوْمُ هَانَحْنُ وَسَطَ هَذَا الْبَحْرِ اللَّجِّي، فَالْمَاءُ وَالْأَعَاصِيرُ
تُحِيطُ بِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَا خَلَاصَ لَنَا جَمِيعًا، إِلَّا بِهَلَاكِ
بَعْضِنَا!! وَدُهِشَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: مَاذَا تَقُولُ يَا رَجُلُ؟ وَمَنْ هَذَا الَّذِي
سَيُضْحِكُ بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِنَا. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ قَائِلًا: يَا قَوْمُ مَا لَنَا سِوَى
التَّخْفِيفِ، فَلَا نَجَاةَ لَنَا، وَلَا مَخْلَصَ إِلَّا بِهَلَاكِ أَحَدِنَا، حَتَّى نُخَفِّفَ
الْوِزْنَ وَإِنِّي أَذْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَقْتَرِعُوا، فَمَنْ خَرَجَتْ الْقُرْعَةُ عَلَيْهِ،
أَلْقَيْنَاهُ فِي الْبَحْرِ، فَتَنْجُو بِهَلَاكِهِ، وَلَا قَتِ الْفِكْرَةُ اسْتِحْسَانًا، لَدَى
رُكَّابِ السَّفِينَةِ فَافْتَرِعُوا فَخَرَجَتْ الْقُرْعَةُ عَلَى النَّبِيِّ يُوثُسَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، لَكِنَّ الْقَوْمَ رَفَضُوا أَنْ يُلْقَى النَّبِيُّ يُوثُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ
ضَيْفُهُمْ، وَمِنْ وَاجِبِهِمْ إِكْرَامُهُ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ، فَأَعَادُوا الْقُرْعَةَ،
فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَرَفَضُوا الْإِقَاءَةَ فِي الْبَحْرِ، وَعِنْدَمَا أَعَادُوهَا
لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، خَرَجَتْ عَلَى النَّبِيِّ يُوثُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَهَا أَدْرَكَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ فِي الْأَمْرِ سِرًّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنَّ اللَّهَ فِي

(١) هوجاء: شديد، قوية.

ذَلِكَ حِكْمَةٌ وَتَذْيِيرًا، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ مِنْهُ، عِنْدَمَا تَرَكَ قَوْمَهُ، وَمَا ارْتَكَبَ مِنْ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، عِنْدَمَا غَادَرَهُمْ دُونَ إِذْنِ بِالْهَجْرَةِ، فَالْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْيَمِّ^(١) الْمَتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ، الَّتِي أَخَذَتْ تَتَقَاذَفُهُ، فَيَغْلُو وَيَهْبِطُ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِبَارِيهَا^(٢) عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، شَاءَتْ إِرَادَتُهُ الْعَلِيَّةُ، أَنْ يَحْفَظَ يُؤْنَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَوْحَى إِلَى أَحَدِ الْحَيَّاتِنِ، أَنْ يَبْتَلَعَهُ، وَأَمَرَهُ أَلَا يَأْكُلَ لَهُ لَحْمًا، وَلَا يَهْشِمَ لَهُ عَظْمًا، فَلَيْسَ لَهُ بِرِزْقٍ.

دَعَاءُ يُونُسَ

اسْتَقَرَّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي بَطْنِ الْحُوتِ، الَّذِي أَخَذَ يَشُقُّ عُبَابَ الْأَمْوَاجِ، وَيَهْوِي إِلَى الْقَاعِ، ثُمَّ يَصْعَدُ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ، وَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا حَرَكَ فِيهِ، فَحَسِبَ أَنَّهُ مَاتَ وَعِنْدَمَا حَرَّكَ جَوَارِحَهُ^(٣)، تَحَرَّكَتْ، فَأَذْرَكَ أَنَّهُ حَيٌّ يُرْزَقُ فَخَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَائِلًا:

- يَا رَبِّ لَقَدْ اتَّخَذْتُ مَسْجِدًا أَعْبُدُكَ فِيهِ، لَمْ يَتَّخِذْهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ.

(١) اليم: البحر.

(٢) باريها: خالقها.

(٣) جوارحه: أعضاءه.

وَسَمِعَ النَّبِيُّ يُؤْتَسُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، تَسْبِيحَ
 الْحَيَّانِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا سَمِعَ تَسْبِيحَ الْحَصَى لِرَبِّ السَّمَوَاتِ
 السَّعْبِ وَالْأَرْضَيْنِ السَّعْبِ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى^(١)، وَعِنْدَيْهِ قَالَ
 يُؤْتَسُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا قَالَ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ ذُو الْعِرَّةَ وَالْجَلالَ، عَالِمُ
 الْحَقَائِيا وَإِنْ صَغُرَتْ، وَمُجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَإِنْ عَظُمَتْ، حَيْثُ قَالَ فِي
 كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٢) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
 وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣).

وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلِ سُورَةِ الْقَلَمِ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ
 كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ ^(٤) إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ^(٥) ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ رَيْعَهُ لَنَبَذَ^(٦)
 بِالْعُرَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ^(٧) فَاجْتَنَبَهُ ^(٨) رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ^(٩).

(١) الثرى: التراب.

(٢) سورة الأنبياء (٨٧، ٨٨).

(٣) أي في الضجر والعجلة.

(٤) مكظوم: مملوء غماً في بطن الحوت.

(٥) لنبذ: أي طرد من بطن الحوت.

(٦) فاجتنبه: اختاره.

(٧) سورة القلم (٤٨ - ٥٠).

نجاهُ يونس

اسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدُعَاءِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَوْحَى إِلَى
الْحُوتِ، فِي الْمَاءِ أَنْ الْفُظْ وَالْقِي مَا فِي بَطْنِكَ فِي الْعَرَاءِ، بَعْدَ أَنْ
نَالَ مَا قَدَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ جَزَاءٍ، وَخَرَجَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ
بَطْنِ الْحُوتِ ضَعِيفًا سَقِيمًا مَرِيضًا فَتَلَقَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِوَاسِعِ
رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ مَغْفِرَتِهِ، فَرَزَقَهُ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ^(١)، أَكَلَ مِنْ ثَمَرِهَا
وَتَقَيَّأَ^(٢) بِظِلِّهَا كَمَا هَيَّأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَرْوِيَّةً^(٣) أَرْضَعَتْهُ بِلَبَنِهَا^(٤)،
فَكَانَتْ تَأْتِيهِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، حَتَّى عَادَتْ إِلَيْهِ الْعَافِيَةُ وَدَبَّتْ فِيهِ مَاءُ
الْحَيَاةِ وَسَرَتْ فِي عُرْوِقِهِ دِمَاءُ الْحَيَوِيَّةِ وَالنَّشَاطِ فَاسْتَوَى وَاقِفًا وَرَجَعَ
إِلَى سَابِقِ عَهْدِهِ فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: أَنْ عُدْ إِلَى بَلَدِكَ
وَقَرْيَتِكَ، مَوْطِنِ أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا، وَنَبَذُوا الْأَوْثَانَ،
وَهَكَذَا مِنْ اللهِ عَلَى يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاسْتَجَابَ دَعْوَتَهُ وَهُوَ فِي
بَطْنِ الْحُوتِ، وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْحُزْنِ وَالْغَمِّ، وَهَذَا هُوَ صَنِيعُ اللهِ عَزَّ

(١) يقطين: القرع.

(٢) تقيأ: استظّل.

(٣) أروية: أثنى الوعل جمعها أروى.

(٤) اللبن: الحليب.

وَجَلَّ بِكُلِّ مَنْ دَعَاهُ وَاسْتَجَارَ بِهِ، مُخْلِصًا مُنِيْبًا فَمَنْ حَفِظَ اللهَ
حَفِظَهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِي الرَّخَاءِ أَنْقَذَهُ فِي الشَّدَّةِ.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ
تَجِدْهُ تُجَاهَكَ تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ».

* * * * *